الأخرى، ويحرص على حضور الحفلة الصباحية يوم الجمعة والتى تبدأ العاشرة والربع بعرض أفلام الرسوم المتحركة للصغار، ولم يتوقف عن عادته تلك إلا عند وقوع المحنة الكبرى.

يتطلع الأشمونى إلى صاحبه صامتًا، حتى إذا حاد بصره عنه بدأ صديقه ينظر إليه، وإذ تلتقى عيونهما يهز كل منهما رأسه كأنهما أدركا شيئًا ما فى عين اللحظة، يتابعان المارة بصمت، أو يرشفان الشاى على مهل، لكنهما يتبادلان الحديث أحيانًا، عندئذ يقترب كل منهما، صاحبه أطول، لذلك ينحنى، إنه أسمر، أصلع، ممتلىء قليلاً، صعيدى من أبى تيج، مرتفع الصوت، لا يمكنه الهمس، لا يفارق حقيبته الجلدية القديمة، مجهول الإقامة حتى لصديقه الحميم.

يؤكد عطية بك إقامته منفرداً. إنه الوحيد الذى زار الأشمونى عند مرضه وأمضى بصحبته وقتًا فى حجرة مستطيلة، تطل على المنور الداخلى، الصالة المشتركة تؤدى إلى شرفة من خشب تئن ألواحها وتصر إذا خرج المرء إليها، منها يمكن رؤية مبنى محطة مصر عربى الطراز، نزلاء الفندق كلهم عابرون، معظمهم يقضى ليلة أو ليلتين، قادمون من الريف إما لقضاء الحوائج أو لبدء مشوار الرزق الذى ينتهى بشراء أو إملاق، النزيل الوحيد الدائم هو الأشمونى.

لماذا يستقر فى هذا المكان الذى يفر منه كثيرون مثقلين بذكريات مرهقة؟

يؤكد الجواهرى أن السبب عشقه العذرى لبنية يهودية كانت تسكن قرب المستشفى القبطى، كانت بضة، ريانة، تحتضن حقيبة كتبها إلى صدرها، رأسها مرفوعة، صدرها مشهر، فى عينيها لا مبالاة، تمشى